



الغلو آفة ابتليت بها شعوب وقبائل دول ومنظمات صغاراً وكباراً، شيوخاً وشباياً، نساء ورجالاً، وهو فكر يصعب حصره في سبب واحد! ويصعب حله بطرق سريعة أو نقاط سطحية غير مدروسة، فللغلو عدة أسباب رئيسة وله أسباب فرعية والقول بأنه نتاج سبب واحد هي مغالطة للواقع والحقائق.

وقد تجتمع عدة أسباب تؤدي بالشخص لحمل الفكر وقد يكتفي البعض بسبب واحد ليعتنق الفكر، وهنا تكمن الخطورة فنحن أمام مرض لا يمكن علاجه جزئياً بل تحتاج لعلاج متكامل لا يترك شاردة ولا واردة من أسبابه إلا و تعالج وإنما العبرة علاجه بالمسكنات ثم تنفاجأً بعودة المرض وانتشاره!!

نحن هنا سنذكر الأسباب من واقع تجارب ووقوف على عدة قضايا وقد اجتمعت لي بفضل من الله عدة أسباب لأقول أنني أستطيع بإذن الله أن أدلّي بدلوبي في هذه المسألة الخطيرة، لن أزيد العبارات ولن أختار الفصيح منها ولا تنتظر سرد قصصي، أدبي، فهذا مرض يهمنا فيه وضع الأصابع على الجراح فهي متفرقة وتحتاج أن يعالج الأخطر منها ثم الأقل خطورة.

ومن التسطيح أن يقرر الأسباب كلها من لم يختلط بأهل الغلو ولم ينافسهم ومن لم يجتمع معهم لأيام وأشهر وسنين أحياناً ولا يتأنى ذلك إلا في مواطنهم وهي الجبهات والسجون وأراد الله أن أخوض التجربتين مع أهل الغلو، فبمثل هذه التجارب تستطيع فهم تفكيرهم وطريقتهم ومنظارهم وبدراسة حياتهم الخاصة تستطيع تكوين تصور أقرب للواقع منه للتنظير أو النقل من الكتب بشكل مجرد، تستطيع بإذن الله أن تعطي نظرة ثاقبة عن الأسباب التي أدت لهذا الغلو ومحاولة حصر معظم الأسباب وأهمها بعد خوض التجارب مع شخصيات مختلفة في التوجهات والأعمار والأسباب ونقاشهم لأيام وليالي تستشف منها كيف تغلغل الغلو لأفكارهم وما هي المعطيات التي سهلت وصول هذا الفكر لعقول وقلوب شبابنا.

ومعالجة الأسباب هي أول خطوات محاربة الغلو وضرره بمقتل وبذلك توفر الجهد والوقت والمال، وبدون التشخيص الصحيح فالعلاج لن يفيد وستستطيع الحكم عليه بالفشل، ولنا في حقبة التجغيرات التي ابتلينا بها خير دليل، فقد عولج الغلو علاجاً مباشراً ولم تعالج الأسباب وابتلينا اليوم ببدل العشرات من الغلة بمئات بل بآلاف!

والأدهى هو حمل أطفال ونساء لهذا الفكر والذي لم يكن بالسابق بنفسه هذه الأعداد المخيفة، فقد علمنا بتبني بعض أهالي الغلة لهذا الفكر نساءً وأطفالاً ونحن اليوم أمام تبني أطفال وشباب ونساء من أسر علم وفضل وأسر لم تتلوث بفكر الغلو!!

وهذا الأمر في رأيي متوجه حتماً ليكون ظاهرة مالم تعالج الأسباب الحقيقة بتوجيه صادق وبنظافر الجهد، هذه المقدمة

الطويلة مهمة لأن الأسباب ليست خافية لكن المصلحين يمرون عليها مرور الكرام يذكرونها ثم ينتقلون للحديث عن التحذير من الغلو وترك التحذير من أسبابه!!

وهنا وقعنا في مشكلة كبيرة وصرنا سبب فرعي من أسباب انتشار الغلو سواء علمنا أو لم نعلم، فحينما تأتي لشخص يبطش به جاره ويؤذيه وإذا احتاج بشكل خاطئ وغير حضاري وكانت ردة الفعل أسوء من الفعل فعلاج الشخص دون الحديث مع جاره لوقف الاستفزاز والاعتداءات هذا هو العيب الذي لا يمكن أن يقره عاقل غير مسلم فضلاً عن مسلم يحمل دين العدل ودين رفع الظلم ودين الأخذ على يد الظالم .

ومن هذا الأمر سأضع أخطر أسباب الغلو وهو الظلم:

١ - الظلم وهو رأس الغلو وأقوى وأهم أسبابه:

والظلم أنواع ودرجات أشدّه وأعلاه السجن بلا مبرر شرعي ولا مستند نظامي إلا الشبهة! وهذا جعل حتى من لديه بعض العلم ينحرف ويؤل الأدلة وفق الهوى لمجرد الانتقام ممن ظلمه، وملف المعتقلين هو الملف المتورم الذي زاد فيه الإهمال دون علاج حتى أصبح قيحاً وصديقاً يفرز الغلو إفرازاً في عقول السجناء وذويهم وأقاربهم وأصدقائهم وجيرانهم وأهاليهم، مما أوجد لدعوة الغلو أرضاً خصبة في هذه المجتمعات للدعوة للغلو وتجنيد الاتباع وسهولة إقناعهم بحمل فكر التطرف، فالمظلوم غير المنضبط بالشرع بشكل صحيح في الغالب لا يهمه العواقب بقدر ما يهمه الانتقام ورؤية ظالمه في حالة من الفوضى، وحل هذا الملف هو حل بلا مبالغة لنصف أسباب الغلو من جذورها.

٢ - ضعف العلم الشرعي أو انعدامه: خصوصاً صغار السن وعدم فهم النصوص، وإنزال الآيات على خلاف ما أنزلت ، والسبب هو عزوف العلماء وطلبة العلم (وخوفهم) من مجالسة الشباب والاختلاط بهم كي لا تصنفهم الدولة ويسجنوا بالشبة، وكذلك محاسبة من جلس مع بعضهم لنصحه عن سبب عدم التبليغ عنهم لجهات الاختصاص !! هذا جعل الهوة تتسع بين الشباب والعلماء الذين لا يسمع صوتهم عند المنكرات وعند الظلم لكنه يرتفع عند التحذير من هؤلاء الشباب ومنهجهم الذي يرونه الحق المبين وغيره هو الباطل، وهذا فتح للشباب تلقي العلم من الجهلة وأهل الغلو وأنصار المتعالمين، وصدقوا ما يروج ضد العلماء من كونهم أدوات تستخدم وقت حاجة السياسي، مما سهل على الغلاة تجنيد الشباب لغاياتهم بعد إبعادهم عن أهل العلم الحقيقيين.

٣ - الإعلام المفتوح بلا ضوابط أمام نقاشات الشباب وتغذيتهم منه بالحوار أخذًا وعطاءً مقابل علماء يريدون إيصال رسالتهم للمتلقى بمبدأ "اسمع مني ولا تناقش" هذه رفعت أسمهم الغلو في بورصاته وهي إحدى أخطر طرق تجنيد النساء لفكر الغلو.

٤- ضعف الإسلام أمام التغريب وكبت الشباب عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقابل فتح الباب للمنكرات وأهلها وعدم محاسبتهم!! مما سبب استفزاز الشباب وكبت طاقاتهم وحماسهم فمن لم يملك العلم الشرعي ينحرف ويفطن أن العلاج هو في تبني الغلو والعنف ويفرغ طاقته وحماسه في هذا الفكر الدخيل للتغيير المنكر بالقوة ، والعمل للدفاع عن الإسلام فقد استفاد أهل الغلو من هذه النقطة وغذوا الاتباع بها وأنهم يعيشون غربة الإسلام .

٥- إتاحة حرية الرأي في الإعلام لمهاجمة الشعائر الدينية والعمل الخيري ودور التحفيظ وجهاز الحسبة والتحريض عليها والعمل على تغريب المرأة والسماح بالكفر والإلحاد في معارض الكتب والمكتبات والندوات ، مقابل إقصاء كامل لهؤلاء الشباب من ابداء الرأي أو الرد على هذا الهجوم الممنهج المكرر أو حتى انكاره، هذا أورث للشباب اليأس والقنوط من جميع القنوات للتغيير واقتناعهم بقناة واحدة يصل من خلالها صوتهم وهي قناة الغلو والاقصاء المضاد كردة فعل لما أصابهم من إحباط وجود أنظمة تحاسبهم على الإنكار مقابل ضعف شديد في محاسبة أهل المنكر ، ولم يعد يكترث صاحب

فکر الغلو من تحذیرات العلماء الذين لم يتحركوا لصد هذا التغريب والمنكرات، فلا يكترث بعد ذلك بالعلماء سواء تحدثوا أم لا العلماء.

٦- الفقر والحرمان وهو أحد الأسباب المقلقة التي يكثر في بيئتها تبني الغلو، فقد وجد أنه سبب مستقل قد لا يحتاج لأي سبب من الأسباب السابقة ليعارضه فيكتفي أنه فقير محروم في مجتمع ثري يرى تعدد الثروات من حوله وهو مستوى معيشته يتزدري مع التضخم وقد ساهمت وسائل التواصل في وضعه في مصاف الدرجات السفلية من المجتمع حينما يشاهد القصور البازخة والسيارات الفارهة والأموال الضائعة في التوائف، والثراء الفاحش وليد الصدفة بعد تولي المناصب، وهو قابع في حضيض الأحياء الفقيرة لا يستطيع تلبية رغباته الطبيعية لا في زواج ولا سكن ولا علاج ولا حياة كريمة ولا وظيفة آمنة وهذا زاد في أوار الحقد من المجتمعات والدول فاقنع نفسه ببريق العدل الذي ينادي به الغلة في مجتمع إسلامي وفي توزيع الثروات والغنائم تحت ضل الرماح بعدل بين الرعية.

٧- من الأسباب المنسية والخطيرة غياب القدوة الصالحة، فقد أخدمت الحكومات الصوت الوسطي في بيئه المجاهدين من القادة المعتدلين الذين يحاربون الغلو وطاردتهم بعضها الطاعة ووقف كل أنشطتهم في مواطن الجهاد ووقف التواصل مع تلك المناطق ووضع من لم يرضخ لهذه الأوامر تحت طائلة المطاردات والسجن والوضع في قوائم المطلوبين فحصل اختفاء قسري وتم لها الصوت الوسطي المعتمد المحارب للغلو والتطرف مما سهل على الغلة إيجاد قدوة سيئة في تلك الأماكن لصغار الشباب وساهمت شبكات التواصل لجعل هؤلاء قدوة للاجيال القادمة سواء من وصل منهم لمواطن القتال او من هو في أقصى الدنيا فكان للغلة ما أرادوا من تفريح الساحة لهم بشكل تام فرفعوا راية الدفاع عن المستضعفين وسد ثغر من ثغور الامة عظيم وللأسف بهذا الفكر الغالي وهذا المنهج المنحرف فطبيعي جداً أن يتمرد الشباب على العلماء "التاركين للجهاد" المغلفين لمجالسهم من استقبالهم، والتمرد على قادة الجهاد المعتدلين الذين "ركعوا للدنيا" فلم يعد أمامهم إلا هذه النماذج المنحرفة التي صورتهم كأبطال لا منافس لهم من أي صوت آخر فعلى صوت الغلو ونحر المسلم الموحد على تكبيرات الغلة وغسلت أدمغة الشباب فاستعدوا لتجيير أنفسهم في أي مكان يطلب منهم بل واستعدوا لقتل أقرب الناس إليهم، والتذكر لعلمائهم أوطانهم وكل شيء جميل في حياتهم فلا يفكر إلا كيف يُقتل دون هذه الأهداف التي ظن أنها أهداف سامية شرعية مطلوبة منه وليس بعدها إلا الجنة.

٨- تجفيف المنابع: وهو من الأسباب الخطيرة فقد ضيق على الدروس والمحاضرات والأنشطة الحاضنة للشباب بسبب دواعي الشك في أصحابها وبتحريض جماعات الحسد والحقد مما جعل النبع قليل ونادر، فعلى سبيل المثال: ترك الحديث تماماً عن شعيرة jihad وأصبحت كلمة jihad حساسة مخيفة جعل عليها قيود وتصنيفات وتعيارات وسجون ويوضع صاحبها تحت دوائر الشكوك، فحصل عزوف من العلماء والدعاة المعتدلين عن الحديث في هذا الجانب واستقطاب الشباب لإعادة توجيهه الصحيح فلم يعد هناك من يتحدث عن jihad وضوابطه وشروطه فنجح السياسي في إعطاء الغلة فرصة العمر لسد هذا الثغر وتبني هذه المسار بكل جوانبه، وتبني الحديث عن jihad كشعيرة غائية وتبني قضايا الأمة في هذا الجانب والسباق لكل أماكن الصراع القديمة التي أفرغت لهم، والحديثة التي لا ينافسهم فيها أحد وبشكل شبه تام فمن البديهيات أن يتلقفوا عقول الشباب ويسحرنون أكبّ قلوبهم فيوجهونهم ويكيفونهم وفق ما يرون واكتفينا فقط بردات الفعل لأنفعال الغلة.

٩- الحلم الضائع، وهو قيام دولة إسلامية تحكم بالشريعة والعدل والنّاس فيها سواسية وتوزع الثروات فيها بإنصاف ويعيش الناس فيها بكرامة ويرجع فيها القوي والضعف لحكم الله، هذه مفقودة في الواقع مدونة في الكتب يرضعها المسلم منذ

الولادة في انتظار الخلافة الراشدة فيجد في واقعه الظلم والعنصرية والطبقية والحكم على الضعيف وترك الأقوياء وثروات الأرض لفئة دون غيرها، فصاحت الغلة للناس أننا ستحقق حلمكم وسترون دولة الحق وخلافة الإسلام فدغدغ مشاعرهم واستغل ضعف تحصيلهم العلمي وخصوصاً الأعاجم الذين يعيشون بعنصرية في الغرب وهم يتمنون هذه الدولة الحلم، فصاروا يخوضون التجربة بلا تردّد ويضطرون لحمل هذا الفكر لظنهم أنه الفكر الذي حمله أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، فأقاموا العدل في الأرض، فكثير منّهم لم يذق العدل تجده مستعد لخوض كل التجارب ليراه واقعاً ملماساً، لأنّهم لم يجدوا العدل في كل الدول الإسلامية ووجوده في هذه الدول التي لا تدافع عن الإسلام إلا بعد ضغط الجماهير ومصالح الاقتصاد والأمن، ووجدوا المسلمين يقتلون في كل صق ولا يدافعون أحد عنهم! في مقابل دولة لكل مذهب ودين فالنّصارى لهم دول والهندوس والرافضة واليهود والبوذيين وكل ملة ونحلة لها من يدافعون عنها ويغضبون لها بغض النظر عن جنسية، يخطّون الحدود للدفاع عن أبناء ملتهم في الوقت الذي تختطف دول السنة الحدود لقتل السنّي الذي يدافعون عن نفسه!!

ووجدوا أنه لا يجرّم إلا الإرهاب السنّي ولا يحارب إلا المنظمات السنّية، ووجدوا المسلم السنّي دمه أرخص الدماء! فإن لم يقتله الغزاة قتله الحاكم الذي يحكمه! فقدوا الثقة تماماً وأصبحوا كالغرقى يريدون أي قشة يمسكونها لتنقذهم، فلم يجدوا سوى هؤلاء الغلاة ينادونهم بما يحبون ويتمون وهم من سيحقق أمنيتهم مقابل عشرات السنين من كذب السياسي السنّي الذي يقف متفرجاً على ظلم المسلمين دون أن يحرك ساكناً.

لذلك ركب الشاب والمرأة والشيخ والعجوز موجة الغلاة لعلّ وعسى أن يجدوا ضالّتهم عند الغلاة، ونجح الغلاة إعلامياً في مخاطبة وجاذبهم وبعثة عواطفهم في سدّ هذا النقص ومخاطبة غرائزهم مقابل جمعيات الحكومات السنّية التي لا تفارق الرأي الغربي ووجهة النظر الأمريكية في كل قضايا العالم الإسلامي.

هذا ما أجده من الأسباب التي تدفع الشباب للغلو لذلك كله يجب معالجة الأسباب جميعها بتضافر الجهود دون الإخلال بسبب دون آخر، ولنا تجربة مؤلمة حين استقبل المجاهدين في التسعينات من الجبهات للسجون خوفاً منهم فسلط الله علينا القاعدة ومنهجها المتطرف وبديل علاج الأمر بحكمة انشغلنا بعلاج الأحداث فسلط الله علينا من جعل القاعدة ومنهجها عند هؤلاء شبه معتدلة وكلما كابرنا في عدم علاج الأسباب كلما تفاقم الأمر وسنحت بسبب سقوتنا عن الظلم والفقر وحرب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أقول سنحتي من يخرج من أصلابنا من يسومنا سوء العذاب ويستحل دماءنا وأعراضنا ويدمر مكتسباتنا وأمننا.

فهذا العالم خلقه الله بأسباب كونية دقيقة وأنزل لنا كتابه سبحانه وسنته نبيه عليه الصلاة والسلام فإن لم نقم بما أمرنا الله به وفق سنته المقررة فلن تكون خيراً من غيرنا من لم يمثل أمر الله، فليس بيننا وبين الله نسب، هي أعمالنا التي تقربنا لربنا فإن صدقنا الله صدقنا وإن نصرناه نصرنا، وإن خذلنا أمتنا فلا نلوم من إلا أنفسنا والله أعلم وأحكم وهو على كل شيء قادر.

المصادر: